Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فإن عبد القاهر يشعر أن هذا الضرب الثانى هو الذى يحتاج إلى إقناع بمشروعية وجوده ، فإذا كان الشاعر يدعى أمرا ممكنا معروفا فأى حاجة له فى التشبيه ؟ وهنا يشير إلى جانب من القيمة الفنية للتشبيه وهو بيان الحالة النفسية ماثلة فى محسوس أو ما عبر عنه بالمقدار والقوة والضعف والزيادة والنقصان ، وهذا أساس هش لا يستدعى تشبيه التمثيل دون غيره من ألوان التشبيه أو أشكاله . والنوع الأول ، أو الضرب البديع فاقد بشكل حاسم للأساس المنطقى الذى بنى عليه ، فأى علاقة حتمية بين الممدوح والقمر ، أو الصبر على الحسود وتقوت النار بنفسها . . إلخ ، إننا لا ننكر شرف هذه التشبيهات وجدتها ودلالتها على اللماحية ونفاذ الحدس ، لكننا نستبعد أن يكون القياس أو البرهنة هى السبب فى قوتها ، إنها من باب أولى تقدم تصورًا قائمًا بذاته ، يستمد مبرراته من ذاته ومن المشاهدة الحسية ، ومن تضافر القوانين الكونية ، ورد السلوك الإنسانى إلى مكانه من الطبيعة التى هو جزء منها ، خاضع لنفس تحولاتها ، إن لم يكن ممتزجا بها على الحقيقة .

ما الاستعارة فقد اختلف حظها كثيرا فى الدراسات النقدية والبلاغية العربية ، لقد تجاهلها ناقد فى حجم قدامة ، ونالت كلمات لا تغنى من الجاحظ والقاضى الجرجانى وأبى هلال وغيرهم ، وظلت بمعزل عن الاهتمام الجاد حتى أدركها عبد القاهر . وفلسفة الاستعارة قائمة فى قدرتها على توحيد أكثر من عنصر من عناصر الطبيعة فى بناء صورة واحدة ، وهى هنا كالطبيعة نفسها التى تمتص اختلاط الاستعارات[٣٤] ، ولعل كلمات هربرت ريد عن وظيفة الاستعارة تضعنا على بداية الإطار الذى تحرك فيه العقل البلاغى العربى تجاه الاستعارة . يقول : إن الكلمات التى تستخدم نعوتا هى كلمات تستعمل لتحليل مباشر ، فحينما تكون فى أذهاننا صورة مركبة ، ولكى نعبر عن هذه الصورة تماما ، فإننا نحللها إلى الوحدات أو العناصر التى تكونها (كأى وصف تفصيلى يمكن أن نستعين فيه بالتشبيه أيضا) أما الاستعارة فإنها عكس هذه العملية التحليلية ، إنها تركيب لعدة وحدات لوحظت ، تتلاقى فى صورة واحدة مسيطرة ، إنها تعبير عن فكرة معقدة ، لا بالتحليل والشرح ، ولا بالتعبير المجرد ، ولكن بالإدراك المفاجئ لعلاقة موضوعية ، وهذه الفكرة المعقدة تترجم إلى مساو محسوس[٣٥] .

ويمضى ريد موضحا هذه النقطة الأخيرة مؤكدا أن اهتمام أرسطو بالاستعارة فى مجال الشعر

---

(٣٤) Metaphor. P. 34.

(٣٥) English Prose Style. P. 25.